(٣٤) خطبة له ﷺ فى الترغيب فى فعل الخير والبعد عن الشر

روى الطبرانى من حديث فضالة، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ :

« يا أيُّها النَّاس .. هَلُمُّوا إلى رَبِّكم، فإنَّ ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ مما كثرَ وألْهَى . يا أيُّها النَّاس .. إنَّما هُمَا نَجْدان[١]: نَجْدُ خيرٍ، ونَجْدُ شَرٍّ[٢]، فما جعلَ نَجْدَ الشَّرِّ أحبَّ إليكم مِنْ نجدِ الخَيرِ[٣] ؟ » .

وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ ، يقول :

«طُوبَى[٤] لِمَنْ هُدِىَ للإسْلامِ[٥] ، وكانَ عَيْشُهُ كِفافاً وقَنَعَ »[٦] .

(رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم)[٧] .

---

(١) تثنية نجد ـ وهو الطريق . وأصلِ النجد : ما ارتفع من الأرض، وسمى به الطريق لظهوره .

(٢) هذه الجملة بدل من « نجدان » .

(٣) يعنى : أى شىء جعل نفوسكم تميل إلى نجد الشر وتؤثره على نجد الخير .

(٤) أى : العاقبة الطيبة ، وقيل : هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام .

(٥) أى : شرح الله صدره للإسلام .

(٦) قال فى النهاية : وقد قنع ـ بالكسر ـ يقنع قنوعاً وقناعة : إذا رضى . وقنع ـ بالفتح ـ يقنع قنوعاً : إذا سأل . وفى الأثر : « القناعة كنز لا ينفد » .

(٧) وكذلك قال شارح «الجامع الصغير» إنه حديث صحيح .

فى هذه الخطبة الجامعة يشير النبى ﷺ إلى حقيقة مهمة يجب أن لا تغيب أبداً عن أذهاننا ، وهى أن :

« **مَا قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كثرَ وأَلْهَى** » .

وحسب الإنسان العاقل أن يلاحظ هذا ، حتى يكون قنوعاً وراضياً بما قسم الله تعالى له ، وحتى لا يشغل عن الله سبحانه وتعالى بدنياه التى : أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء ، ففى الحديث الشريف :

« **ليسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَض**[1]**، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ** » .

(متفق عليه)

وهذا معناه أن الإنسان إذا قنع بما أعطاه الله تعالى ورضى به ، لن يكون أبداً مهموماً بالدنيا مشغولاً عن الله تعالى ، وعن فرائضه ، ولن يكون كذلك بالتالى من عُبَّاد الدنيا الذين لا يفكرون إلا فيها ولا يعملون إلا من أجلها ، وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾[2] .

هذا بالإضافة إلى أن الدنيا لا تساوى لحظة واحدة يعيشها العبد فى طاعة الله ، ولهذا فإن النبى ﷺ ، يقول :

---

(١) العرض - بفتح العين والراء - : هو المال .

(٢) سورة المنافقون : ٩ .

« **ألاَ إنَّ الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها إلا ذِكْرُ اللهِ تَعالَى ومَا وَالاَه، وعَالِماً ومتعلِّماً** » .

(رواه الترمذى وقال : حديث حسن)

ثم إذا كان الرسول ﷺ يقول بعد ذلك :

« **إنَّما هُمَا نَجْدَان : نَجْدُ خَيرٍ، ونَجْدُ شَرٍّ ، فمَا جعلَ نَجْدَ الشَّرِّ أحبَّ إليكمْ مِنْ نَجْدِ الخَيرِ** » ؟ !.

فإنه ﷺ يريد من وراء هذا التذكير أن يلفت قلوبنا إلى ملاحظة مهمة ، وهى أن العبد فى هذه الدنيا بين طريقين ، أو أمام طريقين : أحدهما طريق خير ، والثانى طريق شر ، وكلاهما واضح تمام الوضوح ، وأن العبد الموفق هو الذى يسلك طريق الخير الموصل إلى الجنة ، ولا يسلك طريق الشر الموصل إلى النار .

ثم إذا كان الرسول ﷺ يقول فى الرواية الأخرى ـ كما قرأنا فى النص ـ : « **طُوبَى لِمَنْ هُدِى للإسْلاَمِ ، وكانَ عَيْشُه كفَافاً وقَنَعَ** » : فإن المراد من قوله هذا ـ والله أعلم ـ : أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً هداه للإسلام الذى هو الدين الحنيف ، وهو دين المسلمين فى كل زمان ومكان :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾(١) ، ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾(٢) .

وأما عن العيش الكفاف ، فالمراد به رزق يوم بيوم ، وذلك حتى لا يكون العبد مشغولاً ومهموماً بدنياه عن أخراه ، وقد ورد فى الأثر :

«مَا قَلَّ وكَفَى خَيرٌ ممَّا كثرَ وألْهَى»، «قليلٌ يكفيكَ خيرٌ مِنْ كثيرٍ يُطغِيك».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ :

«اللهمَّ اجعلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتاً» .

(متفق عليه)

قال أهل اللغة والغريب : معنى قوتاً ، أى : ما يسدُّ الرمق .

وذلك حتى يكون آله عليهم جميعاً رضوان الله ـ على صلة دائمة بالله تعالى ، وحتى يكونوا دائماً وأبداً فى شعور دائم بالحاجة إليه سبحانه وتعالى ؛ فليسألوه ويطلبوا منه سبحانه وتعالى ما يريدون من بحر جوده الذى لا ينضب أبداً .

فلنكن ـ إن شاء الله تعالى ـ من أهل هذا الفضل ، ولنكن من أهل القناعة . . « فالقَنَاعَةُ كَنْزٌ لا يَفْنَى » .

* * *

(١) سورة آل عمران : ١٩ .
(٢) سورة الأنعام : ١٢٥ .